نهى طلبة

نوفيلا

لمسة أنوثة

شخابيط وردية

لمسة أنوثة

نوفيلا

جروب

شخابيط وردية

إبداع الحرف وعشق الأبجدية

للدخول للجروب على الفيس بوك

www.facebook.com/groups/shakhab

/eit.wardia

بقلم

نهى طلبة

غلاف

صابرين الديب

داخلي

نهى طلبة

فريق عمل "شخابيط وردية"

ما قبل المقدمة

صديقاتي العزيزات..

تلك الرواية القصيرة ما هي إلا فكرة مجنونة فرفقاً بها

تقبلوا اختلافها ونشوزها عن واقع الروايات..

قد تكون صرخة..

أو همسة..

معاناة نراها يومياً.. نلمسها ونعاصرها..

ونضطر أن نشيح بالبصر

ولكن مهما غضضنا أبصارنا..

فلن ننفي وجود تلك المعاناة..

وبالقطع لن نجد لها حلولاً..

لا أرغب في الاطالة..

أترككن مع فكرة مختلفة ولدت بلحظة جنون

نهى طلبة

المقدمة

كان يا ما كان.. يا سادة يا كرام بسالف العصر والأوان وقديم الأزمان.. وقبل ظهور الصفحات والأقلام..

ساحرة ذات قوى لانهائية..

لا هروب من تعويذاتها ولا مفر من جرعاتها السحرية

أخذت منها كاسندرا _ساحرة الأساطير اليونانية_ قوة الاستبصار..

واتقنت كاثرين الفرنسية على يديها صنع جرعات الحب وتعاويذه

تعلمت مرجانة منها المراوغة..

ولم تبخل ساحرتنا الأسطورية بقواها

على أحد

فعرف منها هوديني فن الهروب

وبرع ميرلين بفنون التنكر..

تلك المبهرة هي "الأنوثة"

ذلك اسمها على مر العصور..

تنقلت بين أساطير اليونان.. ورسمت على جدران معابد الفراعين..

مرت بين حضارات العراق والشام وصولاً لليمن

توطنت بأرض الأمازونيات

سافرت وبعدت واقتربت

بين صفحات التاريخ وأحبار الأساطير

تعلو هامتها بأزمان

وتفقد رونقها بأزمان أخرى

فتتبدل بين قوة وضعف لتصبح

"لمسة أنوثة"

****

وبالسحر تكمن النشوى..

الخيال.. وتوقع المستحيل..

بالنهاية ما الفائدة من موهبة لا تمنح السعادة والرغبة بالحياة

هكذا كانت "لمسة أنوثة" تعتقد..

تعيش..

تطلق تعاويذها وتحصد الانبهار والامتنان

لكن..

ولكن في اللغة حرف للاستدراك

بمعنى أن الكلمات السابقة لا يمكن اطلاقها على وجه العموم

بل يجب تعديله بالآتي..

لكن..

السحر كما يجلب النشوى.. يسبب الشقاء

لا يكتفي بالسعادة، بل يرافقها الحزن كغطاء دائم

لنستفيق بنداء الواقع..

ذلك النداء الذي أيقظ "لمسة أنوثة" من سبات مؤقت..

لم يكن نداء لواقع أليم فحسب..

بل كان نداء استغاثة..

وجع.. قهر.. انهزام.. واستسلام..

مشاعر سلبية لا تعد جعلتها تمتطي بساطها السحري

لتصل

إلى قلب ذلك النداء..

نداء الحزن..

وليس هناك نداء لـ "لمسة أنوثة".. أقوى من حزن امرأة...

فما بالك لو كن عدة نساء..

التقين صدفة أو ربما هو القدر من جمعهن معاً..

ليتضاعف الحزن فيتحول لبؤس وشقاء..

قهر جذبها من بين صفحات التاريخ

ودفعها للتدخل.. بل أجبرها على ذلك..

فقط هي تحتاج لاستراق لمحة عن حزنهن وآلامهن

فتتفهم سبب الشقاء..

لتحوله.. لسعادة وردية..

ما قبل مشهد (١)

المكان: إحدى عربات القطار السريع "المترو"..

الزمان: في يوم ما...

الأشخاص: فلنتفق على اننا سنراقب حواء.. وآدم بالمطلق..

وصلت "لمسة أنوثة" لمصدر الصرخة وبرغم كونها غير مرئية إلا أن لسعات الحزن المستسلم آلمتها بقوة..

بدأت تستوعب المشهد؛ عربة مترو يتحرك بسرعة رتيبة..

حولها عدد من النساء ما بين جالسة، أو بوضع الوقوف..

ولكنهن جميعًا تمتلكن ذلك الملمح الشارد.. والحزين..

وبالطبع تناثر بالعربة عدد لا بأس به من الرجال

والغريب أنها لمحت أكثرهم جالسين ببرود قاتل

تاركين النساء يقفن متعلقات بالأعمدة أو يحاولن الارتكاز على أحد جانبي العربة..

لم تستطع محو دهشتها من ذلك الوضع وتساءلت هل حُبِست طويلاً بكتب الأساطير

فلم تدرِ بالتغيير الواضح بنفسيات البشر!

شهقة معترضة جاءت من خلفها

لتلتفت نحو "حواء" التي أتت منها الشهقة إضافة لعدة تذمرات هامسة.. وبعض كلمات سباب غاضب ثم رمقت من حولها بنظرة خيبة أمل وأخفضت رأسها بحزن وهي ترتكز على أحد الأعمدة محاولة باستماتة ابعاد تلك اليد الذكورية الخشنة التي تتسلل لها بإصرار وكأن ملامستها أصبحت حقاً مكتسباً..

لم تستوعب "لمسة أنوثة" ما تراه بعينيها..

كيف يتخاذل الجميع.. كيف يتجاهلون ويتعامون عما يحدث أمامهم وبوضوح شديد..

تغمغم "حواء" برفض مقهور لتلك اللمسات المقززة..

فيجيبها عدد من الذكور حولها بتندر وسخرية

"أنتِ اللي غاوية.. ما ركبتيش ليه عربية الحريم"..

تغمض عينيها باستسلام..

ماذا تخبرهم!.. أنها بالكاد استطاعت اللحاق بالمترو..

وهي لا تمتلك رفاهية التأخير فشقيقتها هاتفتها بضرورة الاسراع بالحضور واحضار

زجاجة الأنسولين لأمها التي مرت بنوبة ارتفاع مفاجئ بالسكري

بعدما طالبها صاحب المنزل بالايجار..

اقتربت "لمسة أنوثة" أكثر

لترى ملامح استسلام مقهور على وجه "حواء" وهي تبعد يداً عن مؤخرتها بضيق..

زادت من اقترابها لتستطيع قراءة أفكار "حواء" بسهولة..

ويالهول ما رأت..

فهو يفسر ببساطة استسلامها لذلك النوع من الانتهاك القذر

مشهد (١)

"حواء ضحية التحرش"

"حواء" خلف مكتب صغير تطبع بضع ورقات خلف شاشة حاسوب..

ثوانٍ وقاطعها صوت رئيسها "آدم" يستدعيها عبر الهاتف الداخلي..

ارتسمت على ملامحها إمارات الاشمئزاز وهي تجمع بضعة أوراق تضيفها لملفٍ كبير

ثم تعدل من هندامها؛ تنورة سوداء متوسطة الطول يعلوها قميص ناعم وردي اللون..

تنهدت بقوة ورسمت على وجهها ملامح جادة رسمية قبل أن تطرق الباب بخفة

وتدخل لغرفة مكتب "آدم" وبداخلها ترتعد خوفاً واشمئزازاً وهي ترى تلك النظرة الجائعة بعينيه تلتهمها التهاماً..

يشير لها لتقترب وتعرض عليه الأوراق..

وبينما كان يدعي مراجعة الأوراق لم تكف يداه عن ملامستها خلسة..

ثم تجرأت يداه ليصبح عبثه أوقح وأكثر وضوحاً..

وهي لم تملك إلا الاستسلام المهين لما يريد..

أنهى توقيع الإوراق ومعها انتهى من تحرشه المعتاد واليومي..

لتجمع الأوراق وتختفي من أمامه سريعاً متجهة إلى دورة المياه وتوصد بابها لتفرغ كل ما بمعدتها وتفترش الأرض منتحبة بصمت..

دموعها هي فقط ما تملكه أمام احتياجها للوظيفة.. وراتب الوظيفة..

هي مسئولة عن أم عجوز بلا حول ولا قوة ولا دخل..

وسبعة أشقاء وشقيقات بمراحل التعليم المختلفة..

وراتبها هو مصدر الدخل الوحيد..

والذي لا يمكنها المخاطرة بفقده..

مرت بعدة وظائف قبل تلك..

وبكل وظيفة تتعرض للتحرشات الخفية حين والسافرة أحياناً..

ما الجديد إذاً..

هي فتاة.. "حواء"..

وقد تملك آدم صك التحرش بها..

فقط لأنه يستطيع...

عودة إلى

ما قبل مشهد (١)

"لمسة أنوثة"

تنتابها حالة من الذهول..

تتأمل ملامح "حواء" ضحية التحرش..

لترى دمعة وحيدة ظهرت بجانب عينها لتتحرك ببطء

وتختفي لا تدري أين..

وتعود ملامحها لاستسلامها الحزين..

**

يخترق قلب "لمسة أنوثة" صيحة وجع صادرة من قلب حواء أخرى..

تلتفت لتلمح سيدة ترتكز برأسها للنافذة وقد أغلقت جفونها بإنهاك..

تقترب منها أكثر لتدخل بين ثنايا أفكارها..

ليفاجئها مشهد يومي متكرر تحياه تلك "الحواء"..

بلا توقف..

مشهد (٢)

"حواء ربة المنزل"

يعلو صوت المؤذن منبهاً النائمين بموعد صلاة الفجر، لتستيقظ "حواء" كما اعتادت كل يوم

تنهي صلاتها وتبدأ أعمالها اليومية بالمنزل..

طهو، ترتيب، أعمال نظافة، تجهيز افطار للأولاد وآخر لأبيهم

اعداد كمية من الشطائر تكفي الجميع..

وأخيراً توقظهم جميعاً ليذهب الأطفال لمدراسهم..

بينما يبدأ أبوهم "آدم" بتناول افطاره..

لتبدأ سلسلة التذمرات اليومية؛

الفول لم ينضج جيداً، وفي يوم آخر يعترض لزيادة نضجه..

كذلك الجبن؛ يوماً شديد الملوحة، وآخر بلا ملح..

الشاي زاد سكره.. وإذا قللت السكر.. فيتذمر لقلته..

خلاصة تذمراته أنها زوجة فاشلة.. فهي تعجز عن ارضاء أبسط رغباته وهو الطعام..

يتجه لارتداء ملابسه التي قامت بغسلها وكيها..

ويلقي آخر أوامره المعتادة..

"ما تنسيش تنزلي لأمي عشان تساعديها"..

وهل نسيت يوماً.. وهل تركها هو تنسى!..

لقد تزوجته هو وأمه ومنزل أمه العامر بعدد من الأشقاء والشقيقات..

وهي تقوم على خدمتهم جميعاً..

واستلمت مهام عملها منذ اليوم التالي لزواجها..

فكان زوجها واضحاً كالبللور وهو يخبرها..

"أمي ست البيت.. هي تؤمر وأنتِ تنفذي"..

ووالدته لم تتوانَ عن إلقاء الأوامر..

نظفي هذا، امسحي ذاك، اغسلي ثياب شقيق زوجك..

أعدي الأطعمة للاجتماع الاسبوعي للأسرة..

و.. و..

أعمال لا تنتهي كما لا تنتهي طلبات أمه، وشقيقاته، وأولادهن..

وعندما اعترضت حاولت التمرد..

كانت اجابته الجاهزة..

"أنتِ هنا لخدمة أمي.. واخواتي"..

واحتملت.. لتعيش.. لتوفر لأطفالها منزل به أم وأب..

حتى لو كان الأب مجرد صورة بإطار بلاستيكي لا قيمة له..

وزوج أجبرها على ترك عملها الذي يرى أن لا فائدة منه إلا الخسارة كما يزعم..

والأفضل لها مراعاة بيتها وزوجها الذي يبذل جهده لاعالتها..

يأتي في موعد الغذاء ليتناول طعامه.. وينال قيلولته..

فهو منهك القوى من جلوسه خلف مكتبه لست ساعات..

لا تعلم ما يقوم به سوى أنه ينفق مبلغ لا بأس به على القهوة والشاي وخلافه..

وهو أنهى عمله "المرهق".. ليعود لمنزله طلباً "للراحة"

بينما هي تبدأ رحلة المذاكرة مع الأولاد..

وبين هتافها بالأصغر محاولة حشر جدول الضرب برأسه، ومعاناتها مع الأكبر تفهمه معنى تمييز كم الخبرية والأخرى الاستفهامية..

وركضها خلف الوسطى لتقنعها بحفظ كلمات اللغة الإنجليزية..

يأتي صياحه الغاضب..

"صدعتيني.. قومي اعملي شاي"..

وثوانٍ تعد بها الشاي.. وبجانبه قطعة من كعكة خبزتها بين انهاء أعمال منزلها وترتيب منزل والدته..

وإن كانت تتوقع شكراً أو امتناناً فهي مخطئة..

فما كاد يلمح الكعكة ويعلم أنها لم تخبز مثلها لوالدته حتى ثارت ثائرته

وحمل الكعكة غاضباً مخبراً اياها بعقابه المعتاد..

"طالما ما اهتمتيش تعملي واحدة لأمي يبقى مش هتدوقيها وهنزل أكلها معاها ومع اخواتي تحت"..

ويرحل لشقة أمه ومنها إلى المقهى ليقضي أمسيته تاركاً لها مهمة السيطرة على الأولاد والانتهاء من مذاكرتهم..

والمهمة الأكثر صعوبة وهي ارضاء السيدة والدته باعداد كعكة أخرى، كلا بل اثنتين.. واحدة للوالدة والأشقاء_بخلاف السابقة التي أعدتها_ وأخرى له بالطبع حتى تراضيه، فهو نزل من بيته غاضباً.. وهذا لا يصح..

وأخيراً انتهت من مهامها.. وانتهت طاقتها أيضاً..

بعد أن جلت عشرات وعشرات من الأطباق والأوعية وأعدت العشاء وأطعمت أطفالها الصغار.. والكبار_عفواً تعلمون أنها تقصد أمه وأخوته_ ليعود هو إلى المنزل وقد ارتاح باله.. يغني بمزاج رائق.. يجاورها بفراشهما يطالبها بترضية خاصة وحق زوجي روتيني

لا تملك له رفضاً فتتركه يطفئ شهوته بجسد خامل.. جثة بلا روح..

سلبت منها كينونتها وكسرت إرادتها يوماً تلو الآخر..

دقائق تتحملها بصبر.. حتى ينتهي منها، فيوليها ظهره ويغرق بسبات منغم بصوت شخيره..

وتحاول هي استجداء بعض الراحة فموعد استيقاظها على

بعد ساعتين فحسب..

لتعيد يوماً آخر.. وآخر.. آخر..

عودة إلى ما قبل

مشهد (١)

خرجت "لمسة أنوثة" من رأس تلك الحواء وهي بالفعل تشعر بالاجهاد والانهاك

كيف تتمكن تلك المرأة من الاستمرار يوماً بعد الآخر..

حسمت "لمسة أنوثة" أمرها؛ تدخلها ضروري لمساعدة الحواءتين..

**

عندها سمعت زفرة حارقة تصدر من "حواء" جديدة جالسة في الناحية البعيدة من العربة..

تكتف ذراعيها بقوة وكأنها تخفي نفسها عن العالم.. وتحيط نفسها بهالة غريبة تصرح بوضوح.."ابتعد"...

جذبت انتباهها فاقتربت لتستطلع حكايتها..

ويالها من حكاية..

مشهد (٣)

"حواء الأرملة /مطلقة"

"حواء" متكومة بركن منزوي بالفراش.. تتشح بسواد من رأسها لأخمص قدميها..

دموعها لا تتوقف وبجوارها تجلس أمها ولا تكف عن الكلام والالحاح..

"مش فاهمة رفضك ده لحد امتى!.. أنتِ دلوقتِ أرملة.. عارفة يعني ايه أرملة"..

منحت أمها نظرة ساخرة..

وهل يعلم غيرها ما يعنيه اكتساب الأنثى لقب أرملة!..

فبعد موجة المواساة الأولى من الأهل والمعارف.. تبدأ رحلة التجاهل.. بل الابتعاد المتعمد والمهين من أقرب الأقرباء..

والأقسى.. التفاف الجوارح حولها ينتظرون سقوط الفريسة بحثاً عن رجل يؤنس وحدتها..

وهي لم تكن فريسة بسيطة، بل كانت محملة برصيد بنكي محترم كميراث عن زوجها السابق.. وشقة واسعة باسمها ولها طلة ساحرة على نيل المحروسة..

كانت "غنيمة" لأي ذكر طامع..

وما أكثرهم..

لكن تلك المرة العريس مختلف..

أمها تعدد مميزات "آدم".. بل تتغنى بها..

"شاب ومهندس.. والأهم أنه ما تجوزش قبل كده.. يعني أنتِ هتبقي أول بختته.. أنتِ فاهمة معناته ايه واحد ما اتجوزش قبل كده يرضى بأرملة!"..

وكم كانت الكلمة موجعة..

نعم هي أرملة.. تزوجت على سنة الله ورسوله.. وكان قدرها أن يتوفي زوجها بعد زواجهما بشهور.. هي ليست ناقصة للأهلية أو بها عيب..

هو لا يتفضل بزواجه منها.. لم لا تفهم أمها ذلك!.. لم لا يتفهم مجتمعها ذلك!

ولكن أمها لم تتفهم والمجتمع لم يرحمها..

فخضعت وتزوجت بـ "آدم"..

لتقضي معه عدة أسابيع بسعادة جمة.. أعقبها سقوط مريع للواقع المر..

فـ "آدم" العزيز صارحها بلحظة وضوح أنه يرغب بالزواج ثانية..

الزواج من حبيبته تلك المرة.. وهو سيعدل بينهما.. كما أمره الشرع..

فقط يريد موافقتها لتقيم عروسه معهما بالشقة..

"الشقة"!

كانت كلمة السر..

السبب وراء اصرار المهندس الشاب الذي لم يتزوج من قبل، للزواج من أرملة..

أرملة تمتلك الشقة التي وضع خططه ليضع يده عليها ويتزوج حبيبته بها..

والثمن!..

عقد زواج بأرملة!!

وعادت لمنزل والديها مرة أخرى..

وتلك المرة تحمل لقب لا يغتفر بمجتمعها..

"مطلقة"..

ليرفع والديها الجدران ويقيموا الحواجز حولها..

فهي مطلقة..

عار..

خطيئة..

مشروع خاطية وبداية لعاهرة..

أو على أقل تقدير..

خاطفة للأزواج.. وخاربة للبيوت العامرة..

تلك الكلمات التي كانت تتردد بأذنيها باستمرار..

من أقرب قريب.. وحتى ألد الأصدقاء..

منعتها صديقاتها من زيارتهن.. ولم يتوقف أزواجهن عن خطب ودها..

واغرائها بكافة أنواع العلاقات.. بداية من الزواج العرفي..
ونهاية بقضاء وقت ممتع بشقتها كلما جرفها الحنين وازداد عليها الشوق..

كانت كلماتهم مهينة.. ولمساتهم المسروقة لجسدها أشد امتهاناً وألماً

وهم يظنون أنها لن تمانع..

فهي أرملة ثم مطلقة..

عرض خاص.. كومبو..

لن ترفض أي فتات للعاطفة من مدعي الفضيلة ظاهرياً

والباحثين عن المتعة المسروقة سراً

وتكررت جلستها الحزينة.. وتكرر جلوس أمها بجوارها..

وظهور "آدم" جديد..

تلك المرة أرمل في الخامسة والخمسين من عمره..

وتصرخ حواء..

"يا ماما حرام عليكِ.. ده فرق السن ٣٠ سنة"..

وترد أمها بقسوة..

"ما يعبش الراجل إلا جيبه.. ولا أنتِ ناوية تقعدي عازبة كده.. ما هو أنتِ مش عارفة كلام الناس"..

تبكي "حواء"

"عارفة يا ماما.. عارفة"..

ولكن أمها لا ترحمها..

"اخواتي وولادهم قاطعوني.. خايفين على بناتهم.. مفكرين أنك هتاخدي جوز واحدة فيهم.. ولا مرات خالك.. اللي مرعوبة لا ابنها توزه دماغه ويتجوزك على مراته"..

تصرخ "حواء"

"يا ماما ارحميني الله يخليكِ"..

ولم ترحمها أمها.. فهي تظن أنها تدافع عن مصلحتها.. فهي أصبحت مطمعاً من الجميع وما لم تخبرها اياه هو طلب ابن خالها بالفعل ان تصبح زوجة ثانية له ولكن في السر..

ولكن أمها لم تكن تعلم الاصعب.. وهو محاولة زوج ابنة خالتها المستمرة لينالها بأي طريقة..

هتفت أمها بحزن..

"جوازتك هتقطع ألسنة وايدين الناس"

وحركت "حواء" رأسها بلا معنى.. تطلب مهلة أخيرة للتفكير بالأمر..

وها هي عائدة من لقاء لم يتم مع صديقاتها الحميمة..

فهي تعثرت أولاً بزوج تلك الصديقة والتي ما أن رآها حتى أعلن لها حباً لا يموت..

وطلب منها رقم هاتفها ليبثها غرامه وهيامه.. ملمحاً بلقاء بينهما ليطفئا نار أشواقهما!

ولم تكن هناك أي نار سوى نار الغضب المشتعلة بداخلها وهي ترى نظراته تعريها من ملابسها وتقدر مفاتنها المختفية خلفها..

وكان ردها الوحيد صفعة تركت آثارها على وجنته أعقبها هروب سريع..

لتتلقى بعدها مكالمة من صديقتها الحميمة.. الأخت التي لم تلدها أمها،

تتهمها بمحاولة إغواء زوجها وتمنعها من محاولة الاقتراب منها ثانية..

تزيد من احتضان نفسها بذراعيها وبداخل عقلها يتبللور الحل..

"العريس الخمسيني ربما لا يكون فكرة سيئة"..

عودة إلى ما قبل

مشهد (١)

ابتعدت "لمسة أنوثة" عن "حواء" الأرملة سلاش مطلقة..

وقلبها يتمزق ألماً عليها..

كيف يمكنها مساعدتها؟..

كيف تغير من مفاهيم موروثة لمجتمع بأكمله..

لا يرى عيباً برجل طالما يمتلك بضعة آلاف يشتري بها زوجة..

ولكن الأنثى.. أي أنثى توضع حولها وتحتها وفوقها وخلفها وأمامها كل الخطوط الحمراء

طالما سبق لها الارتباط..

حتى لو كان زواجاً شرعياً..

***

شهقة بكاء مكتومة لفتت نظر "لمسة أنوثة"

لتلمح "حواء" جديدة؛ وتلك كانت تجلس على ساقيها فتاة صغيرة بعمر السنتين وبجوارها ثلاث فتيات..

بدين بأعمار ما بين الرابعة والسابعة..

وبين كل لحظة وأخرى كانت "حواء" أم البنات.. تلتفت لتقبل إحداهن.. وتهمس لهن ببضعة كلمات.. ترسم ابتسامة خفيفة على شفاهن..

بالطبع اشتعل فضول "لمسة أنوثة" وتوجهت مباشرة

لتقتحم عقل

"حواء" أم البنات..

لترى وتسمع وتراقب...

مشهد (٤)

"حواء أم البنات"..

افترشت "حواء" الأرض وأمامها جلست ابنتها الكبرى تجدل لها خصلاتها الفحمية الطويلة،

والفتاة تطلب من أمها بتوسل ترك شعرها حراً بلا جدائل..

لتهمس لها "حواء" وكأنها تأتمنها على سر خطير..

"الضفاير بتطول الشعر بسرعة.. وكمان بتحافظ عليه"..

لمعت عينا الفتاة بسعادة وأومأت موافقة..

بينما تصاعد بكاء شقيقتها الصغرى..

فهتف "حواء" بالابنة الوسطى..

"شغلي لها قناة الكارتون اللي بتجيب أغنية يا بنات يا بنات"..

وبالفعل تعالت نغمات الأغنية وتحركت الفتيات ليرددن الكلمات على اللحن المنغم

"يا بنات يا بنات يا بنات

اللي ما خلفش بنات ما شبعش من الحنية

ولا داقش الحلويات"

لتنطلق ضحكة ساخرة من والدة زوجها وهي تقول بغيظ..

"قال يا مخلف البنات يا شايل الهم للممات"

والتفتت لابنها.. والد البنات وهي تتحسر..

"يا عيني عليك يا ابني.. وأنت ربنا ابتلاك بأربع مصايب"..

شهقت "حواء" بصدمة..

"ايه يا حماتي الكلام ده.. دول هندخل بيهم الجنة بس ربنا يقدرنا على تربيتهم صح"..

هتف بها زوجها "آدم" بعنف..

"أنتِ بتراجعي أمي في كلامها.. وهتربي بناتك ازاي لوحدهم من غير ما يكون لهم أخ راجل يسندهم ويكون لهم ضهر"..

حاولت "حواء" مقاطعته لكنه استمر..

"والبنات دول هيشيلوا اسمي ولا هيخلدوا اسم العيلة.. فوقي يا هانم.. كل واحدة فيهم هتكون في بيت جوزها وعيالها له مش ليا"..

لتتشدق والدته بشماتة..

"مرات أخوك صوروا الحمل امبارح وطلعت حامل في ولد.. ما شاء الله.. ما شاء الله.. كل خلفتها رجالة مش زي ناس"..

تمتمت "حواء" بقهر..

"بس العلم بيقول أن الراجل هو المسئول عن نوع الجنين.. يعني خلفة ابنـ..

لتقاطعها حماتها بعنف..

"قطع لسانك.. وقطع لسان العلم ده وحتى لو كان صح..
الرك على البطن اللي بتشيل.. في بطن ما تشيلش إلا
رجالة وبطن تانية مالهاش غير في خلفة البنات"..

قالت كلمتها الأخيرة وهي تبرم شفتيها بتحسر..

لتنطلق كلمات الزوج الغضنفري الطباع والمسمى "آدم"..

"عليا الطلاق لو ما جبتِ الواد ما تقعدي فيها وأرميكِ
ببناتك عند أمك.. وابقي خلي العلم ينفعك"..

وتمر عدة أشهر..

تدخل "حواء" إلى المنزل بأكية وصوت "آدم" يلاحقها..

"هي كلمة واحدة.. البنت اللي في بطنك دي لازم تنزل
لو عايزة تفضلي على ذمتي"..

تتوسله "حواء"..

"دي بنتك حتة منك.. عايز تقتلها!!"..

صاح "آدم" بغضب..

"خلاص أنا استكفيت بنات.. والشهر الجاي هكون متجوز اللي تجيب لي الواد.. ولو عايزة تعيشي معايا تربي بناتك يبقى تنزلي البنت اللي في بطنك"..

تبكي "حواء"..

"بس الإجهاض دلوقتِ خطر على صحتي"..

يهتف بها بغيظ..

"أحسن اياكش تموتِ واخلص منك"..

عودة إلى ما قبل مشهد (١)

تقفز "لمسة أنوثة" هاربة من أفكار"حواء" أم البنات..

ويشتعل الغضب بداخلها لعنان السماء..

كيف يفكر هذا ال"آدم"!

يريد قتل روح بريئة.. ويالفظاعة الجريمة فتلك الروح هي لابنته..

ابنة، طفلة، جنين ما زالت برحم أمها يريد والدها التخلص منها ويجعل من الجريمة سيف يصلته على رقبة المسكينة التي ما تفتأ تقبل زهراتها الصغيرات ووتملس بطنها بحنان وحيرة لا توصف...

**

رائحة عطر ناعم وراقٍ للغاية جذب حاسة الشم الفائقة لـ "لمسة أنوثة"..

فالتفتت لتتأمل "حواء" غاية في الأناقة؛ ثوب مميز راقٍ باحتشام.. تصفيفة شعر تخبر عن مصفف شعر محترف.. وبالطبع اللمسة الأخيرة... حقيبة يد وحذاء يمكن بثمنهما شراء سيارة صغيرة..

بدا واضحاً أن "حواء" الأنيقة لا تنتمي لعربة المترو المتواضعة..

والأكثر وضوحاً أنها كانت شاردة بعالم آخر..

عالم رسم بعينيها بحار من الحزن..

ولم تقاوم "لمسة أنوثة" فضولها..

لتغيب بقفزة واحدة داخل أروقة عقل الأنيقة

مشهد (٥)

"حواء الأنيقة"..

جلست "حواء" أمام مرآتها الضخمة وبيدها تخط الكحل الأسود حول عينيها ببراعة..

أنهت زينة عينيها لتبدأ في خلط عدة ألوان حتى وصلت لدرجة حمرة جذابة للوجنة اتبعتها بتحديد شفاهها بلون أحمر قاتم..

أنهت تبرجها بإتقان والتقطت هاتفها لترى رسالة زوجها الحبيب..

"النهارده عايز أشوفك جارسونة في كافيتريا"..

توجهت لغرفة الملابس الواسعة وبحثت عن زي نادلة

بتنورتها القصيرة جداً والضيقة للغاية..

وقميصها الحريري الذي يفسر كل شبر بمفاتنها..

أنهت ارتداء ملابسها ونثرت خصلاتها العسلية الناعمة وثبتت فوق رأسها عصبة للرأس جاءت مع زي النادلة..

حملت الصينية فوقها عدة مشروبات وتوجهت خارج الغرفة حيث يجلس زوجها لتقوم بواجبتها الزوجية اليومية نحوه.. وتحاول اغراءه مرتدية زي النادلة كما طلب برسالته الهاتفية..

حياة زوجية غريبة تلك التي تحياها..

من يظن أن "حواء" الأولى على دفعتها أربع سنوات متتالية هي عمر دراستها بكلية الحقوق

والتي جاءتها وظيفة تحلم بها الكثيرات بالنيابة الإدارية بدون أن يكون لها واسطة أو نفوذ خفي.. تتنازل عن كل طموحتها.. بل حتى رغبتها في اكمال دراستها العليا..

وتقنع بدور زوجة.. وللفراش فقط..

فزوجها لا يريد منها إلا العلاقة الحميمة فقط..

كل ليلة يراسلها مخبراً اياها بالدور الذي يريد منها لعبه؛

مرة خادمة، وأخرى طالبة، وثالثة مصاصة دماء..

وهكذا..

يرفض تماماً أن يكون لها طفل حتى لا يتشوه جسدها الذي فتنه بأول مرة التقاها بها

وكانت بزفاف إحدى صديقاتها وحينها لفتت بجمالها الآخاذ انتباه رجل الأعمال المتخم بالأموال والشباب والوسامة.. "آدم"..

وقرر امتلاكها بأي طريقة وفعل..

وبزواجه منها أنهى كل طموح ونشاط لها خارج حدوده..

هي فقط له..

وللأمانة هو لا يحملها أي واجبات منزلية من طهو وتنظيف وغسيل وخلافه..

فقد وفر لها طاقم كامل من الخدم والمساعدين حتى تتفرغ لاسعاده هو..

كانت بقمة سعادتها بأول شهور الزواج ولكن سرعان ما بدأت تشعر بضياعها..

اختفاء شخصياتها وهي تتقمص أدوراً مختلفة ليلة بعد أخرى..

اعترضت وحاولت التمرد والاستقلال سواء بالعودة للدراسة أو بحثاً عن عمل..

وفي كل مرة يحبط مسعاها سواء بالتحايل والتوسل لها وإحياء ذكريات الحب القديم

أو بسد كل السبل بوجهها فلا يبقى لها إلا العودة لبيته..

كما يحدث معها الآن..

وظيفة مناسبة حاولت التقدم لها، أخبرته بثورة أنها على وشك الجنون فهو يوميا بعمله أو سفرياته المتواصلة لا يتذكر وجودها إلا مع ساعات الليل.. وهي صبرها نفذ ولم تعد تملك ما تواسي به نفسها..

طالبت بطفل ثانية فرفض..

زادت ثورتها لتطالب بالتقدم لوظيفة رأتها مناسبة، ليغير هو من تكتيكه ويراضيها مبدياً موافقته..

كانت تطير سعادة.. أخيراً ستشعر أنها إنسان وليست مجرد جسد..

وقدمت بالوظيفة وبعدما أيقنت من القبول فوجئت اليوم برفض طلبها..

وبعد محاولات مضنية علمت من إحدى الموظفات أن زوجها هو من تدخل بكامل نفوذه ليتم رفضها..

شعرت أنها مثل الدمية بيده.. بل هي مثل اليويو..

يقربها عندما يشاء وعندما يخنقها القرب يسمح لها بهامش ضئيل من الحرية ليعود ويجذب الخيط مرة أخرى لتستقر بقبضته..

خرجت "لمسة أنوثة" من بين ثنايا عقل "حواء" الأنيقة

وهي تراقب علامات اليأس على وجهها..

ورسالة نصية تصل لهاتفها

"عايزك الليلة بلبس خادمة"

ظلت "لمسة أنوثة" بجوارها حائرة.. لا تعلم كيف ترد لها حقها..

فهي تنازلت عن أحلامها حلم تلو الآخر حتى بات الاستسلام هو طابعها الخاص..

**

همسة باكية من "حواء" منتحبة خلعت قلب "لمسة أنوثة" وهي تسمعها

تتوسل لشخص ما على الهاتف..

ويبدو أنها تتلقى نتيجة سلبية فدموعها لا تكف عن الانهمار..

وكما تعلمون وكما هو متوقع من "لمسة أنوثة" ..

قفزت مسرعة لتتحقق من أفكار الباكية..

مشهد (٦)

"حواء الباكية"..

جلس "آدم" واضعاً ساق فوق الأخرى ومخبراً حواءه بعجرفة..

"ادخلي هاتي شبكتي وحاجتي.. أنا مش هكمل في الموضوع ده"..

رمت نفسها فعلياً تحت قدميه باكية..

"حرام عليك.. ليه تعمل فيا كده!"..

ليخبرها بصلف..

"أنا ما اتجوزش واحدة سلمت لي نفسها"..

صاحت مرتاعة..

"احنا مكتوب كتابنا.. أنت قلت لي أن أنت جوزي وده حقك"..

هز كتفيه بلامبالاة..

"وأنتِ كل أما حد يقولك كلمة تصدقيها.. أضمن منين أنك ما عملتيش كده مع راجل غيري!"..

لطمت خديها بهلع..

"أنت بتقول ايه!!.. أنت متأكد أنك أول واحد في حياتي"..

أخبرها بقسوة..

"ما قولتش حاجة.. بس أضمن منين أنك ما عرفتيش غيري بعد كده!"..

قبضت خديها بقوة تجذبهما بعنف صارخة..

"غيرك!.. هعرف غيرك امتى وازاي وليه.. احنا مكتوب كتابنا.. أنت قولت أنك جوزي لآخر العمر.. مش ده كلامك؟!..

أخذتها ذكرياتها لذلك اليوم المشئوم عندما أصر أن يذهب بها لشقتهما المستقبلية

متعذراً بحاجته لأخذ رأيها حول ترتيب الاثاث..

وهناك لم يسمح لها برفض تقرباته وأخبرها بهيام..

"أنا جوزك لآخر العمر.. عمري ما هسيبك ولا هتخلى عنك"..

وها هو يخلف وعده ويقرر الانفصال عنها وقبل يومين فقط من الزفاف..

أفاقت على حركته وهو ينهض واقفاً نافضاً اياها من عند قدميه..

مخاطباً إياها بترفع..

"مهما قلتِ خلاص.. أنا لايمكن هكمل.. أنا بختار أم لولادي.. وعاء يكون طاهر وشريف آمن فيه على ولادي"..

ابتعدت "لمسة أنوثة" عن "حواء" الباكية.. تريد أن تنزع الهاتف من بين يديها لتمنعها من التوسل لذلك النذل الحقير..

فمثله لا يؤتمن على زوجة ومنزل..

وأقسمت أن ترد لها حقها..

**

ولكن مهلاً هناك من يحتاج مساعدتها أيضاً..

تلك السيدة متوسطة السن الأنيقة برقة والتي تجلس منتصبة كأنها تحاول اثبات أن هامتها لن تنحني أبداً..

ولكن عندما اقتربت منها "لمسة أنوثة" لمحت بعينيها ساتر رقيق من دموع حبيسة تحكي حكاية غدر ووجع لا حد له..

مشهد (٧)

"حواء بمنتصف العمر"

منهمكة في الإشراف على ترتيبات حفل الليلة..

فزوجها أعاد عليها عدة مرات أهمية ذاك الحفل الذي يتوقع أن يحصل من وراءه على صفقة العمر.. نقلة لعالم جديد.. عالم يضم من يمتلكون بأرصدتهم البنكية أرقاماً قد تتعدى الستة أصفار.. وقد تصل للتسعة..

ردد يومها كثيراً..

"أنا قلقان قوي يا "حواء".. خليكِ جنبي"..

لتطمئنه كعادتها..

"دايماً جنبك"..

وهي بالفعل كانت ترافقه بكل خطوة بطريقه.. تسانده بكل قرار وخطة مستقبلية يرسمها لحياتهما.. بداية من قراره المتهور كما رأت وقتها بالإستقالة من عمله الحكومي لينشأ مكتبه الهندسي الخاص.. وقتها لم تبخل عليه بالمؤازرة رغم لسعات اللوم التي نالتهما من الجميع إلا انها أيدته بل منحته شبكتها وفوقها ما تمتلكه من مصوغات أخرى ليبيعها وينشأ مكتباً هندسياً محترماً كما طلب..

وبفضل الله ومجهوده ومساعدتها وتقتيرها في المصاريف حتى لا تطالبه بما يفوق طاقته، حقق نجاحاً ملحوظاً في سوق شديد عمل المنافسة

وعندما جاءها بيوم يحمل من الهم ما خلع قلبها.. فهو شارك بمناقصة حكومية هامة لتنفيذ واحد من المشروعات

التي تسمع عنها فقط بالتلفاز ورغم أنه نال الصفقة إلا أن السيولة تنقصه وقد تضيع منه المناقصة ومعها فرصة العمر..

يومها لم تتأخر عنه وقامت ببيع نصيبها في البيت الذي ورثته عن والدها.. وأمدته بالسيولة اللازمة.. وعندما وجدت أنها لا تكفي حولت كل شهاداتها الادخارية لأموال سائلة..

رغم أن تلك السندات كانت هدية والديها لها ولكنها لم تبخل بهم عليه..

وواقام المشروع وحقق نجاح تلو الآخر..

والليلة كلل النجاح بفرصة العمر الذهبية كما أخبرها وهو يكاد يطير فرحاً بحصوله على الصفقة الكبرى كما زعم فهو

سيكون شريكاً لواحد من أهم رجال الأعمال بالبلد إن لم يكن أهمهم على الاطلاق..

عانقته بسعادة قبل أن يقتل فرحتها بقسوة..

"مش هشاركه وبس ده أنا كمان هناسبه"..

ابتعدت عنه بذهول..

"هتناسبه ازاي؟!"..

ردد باستخفاف..

"يعني ايه ازاي!.. هتجوز بنته"..

رمقته بدهشة تبحث بتلك الملامح القاسية عن حبيبها القديم الذي رافقته الدرب..

ولكنها لم تجد إلا ذلك القاسي الذي أخبرها..

"أنا دلوقتِ هتنقل لمكانة تانية خالص.. ومحتاج زوجة تناسب المكانة دي"..

هل من حد لقسوته!..

كلا.. فقد تابع..

"كمان الوقت مناسب أني يكون عندي أولاد"..

يا الهي.. كلا.. لن يذكر الأطفال..

فهي من تجرعت مختلف أنواع العقاقير لتمنع الحمل بناء على طلبه..

فبكل مرة تطالبه بطفل.. تكون هناك صفقة تحتاج كل ما يملكونه من أموال فيجبرها هو على التأجيل واعداً اياها بمحاولة الأنجاب عند الانتهاء من تلك الصفقة..

وصفقة وراء أخرى

وضاع العمر.. والفرصة بالإنجاب معه.. وارتضت أن تكون أماً له وفقط..

عادت للواقع على صوته وهو يطلق رصاصة الرحمة الأخيرة على كينونتها كأنثى..

"أنتِ هتعيشي في شقتنا القديمة طبعاً.. لأنها هي هتعيش في الفيلا.. هي متعودة على حياة القصور وأكيد هنحتاج لمساحة أما يكون في اولاد".

صمتت تكتم دموع انكسارها.. ليتساءل بعجرفة..

"مش هتقوليلي مبروك!"..

ابتعدت "لمسة أنوثة عن السيدة الراقية وهي تهمس بغيظ..

"باركوا لها في جنازتك يا حقير"..

**

تحركت "لمسة أنوثة" في العربة الضيقة تشعر أن قلبها لم يعد يتحمل المزيد من مآسي "حواء"..

قررت محاولة انقاذ وتغيير واقع تلك النسوة ولو عبر الخيال..

ولكن تلك "الحواء" والتي ترتدي نظارة شمسية رخيصة وعريضة للغاية تخفي أكثر من نصف وجهها، شيء غامض أجبرها أن تقترب بل تكاد تمتزج خلاياها بخلايا تلك ال "حواء" لترى خلف نظاراتها كدمة هائلة قرمزية اللون حول عينها اليسرى..

وأخرى ذات الوان خضراء وزرقاء على وجنتها اليمنى..

وأخيراً لمحت شفاهها المشقوقة بجرح طولي..

تنقلت نظرات "لمسة أنوثة" على عنقها لتجد آثار واضحة لمحاولة خنق..

هل تتردد؟.. كلا لن ترحل وتترك تلك المعذبة قبل أن تعرف حكايتها..

مشهد (٨)

"حواء المعذبة"..

عروس جميلة.. تتلألأ بفستانها اللؤلؤي.. وطرحتها العاجية الطويلة..

تعيش أحلى ليلة بعمرها..

"آدم"

زوجها الوسيم الذي يتمنى رضاها

زواجهما كان تقليدياً..

ولكنها وقعت بحبه بسرعة..

فهو رقيق مراعٍ..

يعاملها كأنها تحفة كريستالية..

وكم كانت مخطئة..

فكل ما سبق كان مجرد قناع..

تنكر أجاد الاختفاء خلفه ليظهر وجه الحقيقي بأول صباح لهما معاً..

عندما قدمت له قهوته ولم تكن كما أراد..

لتفاجئ بصفعة مدوية على وجنتها وبالقهوة الساخنة تقابل ملابسها وعنقها..

وهو يصرخ

"غبية.. حتى فنجان قهوة ما تعرفيش تعمليه"..

ومر أول يوم وهي تحاول ايجاد أي عذر لما قام به..

لا تصدق أنه تعمد ضربها.. لعله كان منفعلاً لسبب آخر..

وفي اليوم التالي كان موعد جذب الشعر..

وتلك كانت وسيلته لايقاظها لتعد له الافطار..

ووجدت له العذر أيضاً..

فالليلة الماضية لم يتناولا طعاماً وقد أتى هو باحثاً عن حقٍ زوجي..

وهي ظنتها مراضاة ومصالحة لها..

وتغاضت عن صفعة أمس وجذب شعر اليوم..

هل أنا بحاجة لأخبركم أن الامر تواصل..

وتصاعد ليتحول للكمات أحياناً..

وأحيان أخرى كانت تفقد وعيها نتيجة مقابلة رأسها للحائط عدة مرات..

بالطبع كان يرافق ذلك سيول من السباب والكلمات البذيئة والتي لم تمر

بأذنيها يوماً..

ليلة أمس كانت الثلاثيون ببيته

أعدت احتفلالا خاصاً

لمرور شهر على زواجهما..

كانت تظن أنها تقدم فرصة لزواجهما..

وقت مستقطع تسترجع به "آدم" الخطيب الوسيم الرقيق..

ومرت الليلة هادئة كما أرادت..

ولكن الصباح كان عاصفاً..

فقط لأنه لم يجد جوربه المفضل..

وكانت النتيجة هي تلك اللوحة المأساوية بوجهها..

حتى أنه رفض اصطحابها للمشفى عندما بكت متوجعة من ألم ذراعها..

وتركها وخرج لتتزايد آلامها فلم تجد بداً من النزول للمشفى..

وهناك تم تجبير ذراعها وتوسلها الطبيب أن توافق على ابلاغ الشرطة،

ولكنها رفضت..

فوالدها أخبرها بحسم عندما اشتكت قسوة زوجها..

"ما فيش طلاق في العيلة.. اتحملي زي ما غيرك متحمل"..

كادت "لمسة أنوثة" ان تلطم خديها..

يا الهي

اين الشرطة؟.. أين جمعيات حقوق الانسان؟..

أين المدافعات عن حرية المرأة..

هل يجب أن تحمل تلك الحواء لافتة مضيئة لتعلن بأنها تتعرض للضرب.. والضرب المبرح أيضاً..

ألا يكفي وجهها اثباتاً..

عنقها المكدوم.. ذراعها المجبر ولا تستبعد تعدد الكدمات تحت ملابسها.

فاض الكيل..

بالفعل فاض الكيل..

مشهد (٩)

قررت "لمسة أنوثة" التدخل وبقوة

هاتفة بغيظ..

"ما بال "آدم" هل كان دائماً بتلك القسوة والدناءة والحقارة!..

كل تلك الجرائم باسم الرجولة والقوامة والحقوق..

لم ذلك الفهم الخاطئ لأبسط مبادئ الدين..

أين الرحمة والمودة وهما أساس الزواج وعماده.. لم التجبر والتنمر على "حواء"

هل الاعتقاد بأنها الأضعف هو ما جعله يتجبر..

هل عواطفها التي هي مِيزتها وطابعها.. هي منحة أمومتها

هي ما تجعله يتحكم ويتنمر..

ما الخطأ؛ العادات، الأفكار، أسلوب التربية؟..

انعدام الثقافة الدينية أم ربما هو الفهم الخاطئ لها!

ربما هي لا تستطيع تغيير عقل "آدم"

ولكنها ستحاول مساعدة "حواء"

أشارت بيدها فتجمد المشهد بالعربة

أخذت تدور حول كل "حواء" قابلتها

لتجمعهن معاً

ووسط ذهولهن قصت عليهن قصتها..

وعرضت تعاويذها

وأخبرتهن ببلاغة

"كل واحدة فيكوا اتعرضت لظلم معين.. أنا هآديكوا الفرصة.. تغيروا الواقع"..

هتفن معاً بذهول

"نغير الواقع!!"..

تنحنحت "لمسة أنوثة"..

"تقريباً.. هخلق واقع خيالي.. واقع افتراضي.. فيه هتكون الست اللي بتتحكم.. اللي بتؤمر.. هتقوم بدور الرجل"..

صرخن بتعجب.

"دور الراجل ازاي!"..

ابتسمت "لمسة أنوثة" بثقة..

"دوره معنوياً.. نفسياً.. هو هيصدق وهيقتنع أنه يقوم بدور الست في الحياة.. مش هيكون عنده ذاكرة لحياة مختلفة غير الحياة دي.. باختصار تبادل للأدوار في الحياة"..

سألن وقد بدأ الموضع يثير انتباههن..

"وبعدين؟"..

هزت "لمسة أنوثة" كتفيها..

"وبعدين كل واحدة تحصل حقها بالطريقة اللي تشوفها"..

اومأن برؤسهن موافقات فصفقت "لمسة أنوثة" بيديها..

"هاه مين أول واحدة؟"..

صرخن جميعهن بنفس الوقت..

"أنا"

أشارت لهن بأن يهدأن.

"هنبدأ بترتيب الحكايات.. مش عايزين نلخبط القارئات"..

وأشارت إلى "حواء" ضحية التحرش

"اتفضلي يا "حواء".. أنتِ اول واحدة"..

واشارت بيدها فظهر نفقاً سرياً..

"ادخلي.. هنا هتلاقي واقع جديد"

مشهد (١٠)

"حواء ضحية التحرش معكوس"

صوتها الأبح يتردد بالاتصال الداخلي تطلبه بحسم ناعم..

"آدم.. هات البوسطة وتعالى"..

يزم شفتيه بقهر.. فهي الآن رئيسته.

لا يعلم كيف يتحمل كون رئيسته أنثى..

شيء بداخله يرفض الوضع.. ولكنه الواقع..

هو يحيا الآن بعالم تتحكم به "حواء".. وعليه الخضوع وتقديم مراسم الطاعة

وإلا فقد مصدر رزقه الوحيد..

ولا داعي لذكر حاجته الماسة لراتب يقتات عليه هو ووالده

وعدد من الأخوة يعتمدون على مدخوله بشكل كلي..

طرق الباب بثقة وتوجه نحو مكتب "حواء"..

لتفاجئه تلك النظرة المفترسة بعينيها وهي تتأمل فتحة قميصه باهتمام..

تجمدت خطواته للحظات وبذاكرته تمر عدة مشاهد لما حدث معه بعربة المترو وهو بطريقه للعمل..

فقد اختار ركناً منزوياً بالعربة كالمعتاد ولكن ذلك لم يحمه من المشاكسات والمغازلات الصريحة التي يحاول التعود على سماعها..

بل أنه أبعد أنامل أنثوية ناعمة تمتد لتعبث بفتحة قميصه..

وبالسخرية لم تكن مرة واحدة أو حتى سيدة واحدة..

يكاد يتقيأ كلما تذكر تلك المرأة تقترب منه بصفاقة لتهمس بأذنيه عدة كلمات جعلت وجه يتلون بالأزرق..

وعندما صاح معترضاً

واجهته الغمغمات الساخرة

"وما ركبتش ليه عربية الرجالة طالما بتخافي على نفسك كده يا قطة"

كانت بعيونهن نفس تلك النظرة المفترسة التي ترمقه بها "حواء" الآن وهي تدعوه باصرار ليقترب من مكتبها..

راقبت "حواء" اقترابه وهي تتخيل الطريقة التي ستقهره بها، تنتهك حرمته

كما فعل بها على مدار أشهر..

وبركن قصي من الغرفة لمحت ساحرتها الطيبة تدعمها وتساندها..

تدفعها لتحصل منه ثمن خطاياه بحقها هي وغيرها..

وبالفعل مدت يدها محاولة نيل حقها كما فكرت وقررت..

كما أرادت..

واكن التنفيذ كان أقسى مما تخيلت..

كيف تبدأ بالتعدي على حرمة إنسان وهي من عانت ويلات وقهر ذلك الانتهاك!..

ما الذي يدور بذهن "آدم" وأي آدم تصادفه حواء..

ليجعله يتمتع بذلك الفعل المقزز!..

كيف من رُكِن إليه بالحماية والرعاية والرفق، أن يكون هو الذئب الذي يغتال الضحية..

تجمدت يدها الممدودة نحوه كما تجمد المشهد بأكمله

و"حواء" تبكي بقوة..

وهي تعلن عجزها عن انتهاك "آدم" حتى لو كان تحصيلًا لحقٍ مسلوب..

"لمسة أنوثة" تصيح بـ "حواء" المتحرش بها بقوة..

"كان ممكن تستردي حقك منه.. على الأقل كان هيدوق من حقارته"..

هزت "حواء" رأسها بحزن..

"وكنت هغرق في مستنقع حقارته"..

برمت "لمسة أنوثة" شفتيها بغيظ..

فـ "حواء" محقة..

هي لا تريد النزول لهوية الحقارة.. وما تتعرض له هي وآلاف مثلها..

هو نتيجة جهل مجتمعي مفتقد فكرة معاقبة المخطئ..

بل يتحدون ليكموا فم الضحية لتصمت وتتنازل عن حقها..

وتنازل يجر آخر..

والنتيجة جيل من بنات "حواء" تشعرن بالقهر والحقد على ذكور مجتمعهن..

وجيل موازٍ من أبناء "آدم".. فقد جوهر الانسانية..

والحماية..

ونسوا أو تناسوا..

"كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته"

**

أشارت "لمسة أنوثة" إلى حواء ربة المنزل

لتدخل إلى النفق السري..

وهي تخبرها..

"استردي حقك منه"..

لتجبها "حواء" بحماس

"أكيد"

مشهد (١١)

"مشهد حواء ربة المنزل معكوس"

أيقظه آذان الفجر من سباته المريح، فتحرك سريعاً ليبدأ روتين يومه المعتاد؛

أعماله المنزلية أنهاها بسرعة وكفاءة ورحل الأطفال إلى المدارس..

فبدأ باعداد الإفطار لزوجته "حواء"..

لا يرغب اليوم بسماع أي من تذمراتها المعتادة..

جلس أمامها وهي تتناول إفطارها بتقطيبة حاجبيها الشديدة..

تلك التقطيبة الملازمة لها على الدوام..

ولا يعلم لها سبباً.. فهي لا تبذل جهداً يذكر بالمنزل.. وخاصة بعدما ترك هو عمله ليتولى شئون المنزل والأطفال.. مقراً بصراحة نادرة أن راتبها هو الأعلى وهي القادرة على إعالة الأسرة، بينما راتبه لم يكن يكفي نفقات مواصلاته الخاصة.. وكان يضطر من اليوم العاشر بالشهر لاقتراض المال منها..

لذا عندما طالبته بحزم أن يترك عمله الذي لا طائل من ورائه..

لم يتردد بالقبول واكتفى بالحياة في كنفها.. يراعي أطفاله..

ومنزله.. ولكنها لم تكتفِ بذلك بل طالبته أيضاً بتولي أمر منزل والدتها وقضاء احتياجاتها المنزلية...

ولم يستطع الرفض بالطبع.. فأين يذهب وهو لا يملك وظيفة ولا منزل..

ووزع أوقاته بين الطهو، الترتيب، الغسيل..

والاستذكار مع أطفاله..

وليته يسمع منها كلمة شكر.. هي فقط تتذمر وتشكو شدة الاجهاد الدائم..

فهي تخرج وتتعب وتنهك قواها بالعمل لتوفر له الحياة المرفهة التي يحياها..

ولا يدري من أين تأتيه الرفاهية.. فظهره يكاد ينقسم من تراكم الأعمال عليه..

وصوته بح من الصراخ بالأولاد محاولاً تلقينهم بعض موادهم الدراسية..

بينما هي خرجت لترفه عن نفسها مع زميلات عملها..

وعندما اعترض بخفوت طالباً مساعدتها..

صرخت به..

"أنا بتطلع عين اللي خلفوني في الشغل.. وأنت قاعد مرتاح ومتهني في البيت.. حس على دمك شوية وسيبني ارتاح"..

وخرجت "حواء" تاركة آدم يعض أنامله قهراً..

ولكنها لم تكن تنعم بالراحة كما يظن.. فقد كان قلبها يتآكل قلقاً على صغارها..

هل سيجيد المذاكرة لهم؟.. هل سيمكنه اطعامهم!.

كيف تركت أذنيها لتلك الساحرة لتقنعها بتلك المبادلة..

كلا.. لم تتحمل الغياب طويلاً..

وعادت لمنزلها لتجده يسبح بهدوء كامل وقد أنهى "آدم" أعماله جميعاً..

وبدا أنه راح بسبات عميق..

عندها وكزتها "لمسة أنوثة".. لافتة انتباهها أن تلك هي فرصتها للقصاص منه.. وإذاقته بعضاً من معاملته لها..

ترددت قليلاً ولكنها أقدمت في النهاية على ايقاظه مطالبة اياها بحقها الزوجي..

وهو لم يرفض.. يعلم أنه لا يحق له الرفض..

حاول مجاراتها ولكن ارهاقه كان أقوى منه..

تذكرت "حواء" عشرات المرات التي توسلته فقط ساعتين من الراحة حتى يمكنها ارضائه كزوج ولم يقابلها إلا رفض متعجرف واصرار على نيلها حتى لو كجثة بلا حركة..

حاولت تلبس كيانه ومعاملته بالمثل.. إلا أنها لم تستطع.. لم تجرؤ على ايذائه بتلك الطريقة وهي من تعلم جيداً كيفية الشعور كأداة للوصول للمتعة..

رمقت "لمسة أنوثة" المنزوية بركن الغرفة بوجع..

قبل أن تربت على كتف "آدم"..

"نام وارتاح أنت شقيان طول النهار"...

التفتت "لمسة أنوثة" إلى "حواء" ربة المنزل

وهي ترمقها بقوة..

"ده كان حقك.. ليه اتنازلتِ؟"..

غمغمت "حواء" بحزن..

"صعب عليا"..

هزت "لمسة أنوثة" رأسها بغيظ..

"بس أنتِ ما بتصعبيش عليه"..

لتخبرها "حواء" بحسم..

"هو انسان مش أداة.. تحويل انسان من لحم ودم ومشاعر للآلة لاسعاد شخص آخر جريمة.. ما اقدرش ارتكبها.. حتى لو هو بيمارسها كل يوم"..

***

أشارت "لمسة أنوثة" إلى "حواء" الأرملة/ مطلقة مغمغمة بحيرة..

"أنا حاولت كتير أفكر بطريقة تاخدي بيها حقك.. للأسف اللي ظلمك مش آدم واحد لا ده كمان في عدد من بنات حواء شاركوا في ظلمك.. أنا حاولت اهيئ مجتمع مضاد لحالتك.. وده كل اللي قدرت اعمله"..

وخفت صوتها بحزن..

"رغم كل قوايا السحرية.. لكن ظلم المجتمع لبنات "حواء" اللي لهم ظروفك أقوى"..

وأشارت إلى النفق السري..

"ادخلي.. حتى لو ما قدرتيش تاخدي حقك.. بس على الأقل هتشوفي "آدم" في وضع لا يحسد عليه"..

مشهد (١٢)

"حواء الأرملة /مطلقة معكوس"

جلس "آدم" يستمع لكلمات والده الناصحة بتحفز..

"يا آدم يا ابني اسمع الكلام.. أنت موقفك مش سهل.. أرمل ومراتك ماتت في الصباحية.. شوف بقى مين هترضى بيك.. كل الكلام اللي بيتقال في العيلة وبين الجيران.. أنك نحس"..

حاول "آدم" توضيح وجهة نظره..

"ايوه يا بابا بس ده مش معناه أني اتسرع واتجوز بأول واحدة قبلت بيا.. أنا اسمع أنها بتحب السهر والحفلات

وكده.. وده مش طبعي.. مش هعرف اتعود على طبعها"..

هتف والده بغضب..

"اللي أنت فيه ده اسمه بطر.. ما لها "حواء".. واحدة تقدر تفتح بيت وتتحمل مسئولية زوج.. ولو بتحب تفرفش شوية ايه يعني.. بكره اما تخلفوا هتبقى تقعد معاك في البيت.. وفي الآخر مراتك على متعودها"

صاح "آدم"..

"يا بابا.."

ليقاطعه والده بحسم

"أنا هبلغهم موافقتنا"..

وتزوجا بالفعل وحاول "آدم" التأقلم معها ومع عاداتها كما نصحه والده..

ومرت الأسابيع الأولى بسلام إلى أن بدأت "حواء" بإقامة حفلاتها المعتادة بالمنزل..

تذمر في البداية عدة مرات ولكنها أوضحت بجلاء أنها حرة بمنزلها لتقيم حفلاتها والتي تفيدها بأعمالها..

"أنا مش بجبرك على الحضور.. الحفلات دي مهمة لشغلي"

وبدأ يلتزم غرفته أثناء تلك الحفلات..

ولكن زاد الأمر عن حده فاعترض بقوة بأحد الايام

لتهتف به في غضب..

"وبعدين بقى.. واضح أننا مش متفقين.. خلاص الحل موجود.. الخلع أحسن حل"..

آلمته الكلمة بقوة "خلع"

إذاً سيصبح "مخلوعاً"..

تباً.. فعندما كان أرملاً وجد بالكاد من ترضى به فكيف سيجد أخرى ترضى به مخلوعاً..

قالت "حواء" كلمتها بعجرفة وتركته يتخبط بقلقه.. ليفاجئ بيد ذات أظافر مطلية بعناية تربت على كتفه بمودة..

تعرف على محدثته على الفور؛ إنها واحدة من صديقات زوجته.. وسمعها تخبره بدعوة واضحة..

"ولا يهمك.. لو خلعتك.. أنا موجودة.. صدقني هتتبسط معايا ومش هينقصك حاجة"..

لم ينتظر بمنزل "حواء" لليلة أخرى.. وفوجئ في الصباح بإنذار لقضية خلع أرسل على عنوان والده.. رافقته مكالمة هاتفية من "حواء".. تنهره فيها لمغازلته لصديقاتها ذات الأظافر المطلية..

أراد أن يصرخ غضباً ورفضاً لذلك الظلم إلا انها فاجئته بإغلاق الهاتف بوجهه

ولم يسمع منها ثانية لينال عن جدارة لقب "مخلوع"..

ومع لقب كهذا اعتكف بمنزله لأشهر لا يريد رؤية أحد ولا التعامل مع أي شخص..

وما فاجئه بعد مرور ثلاثة أشهر وهي عدة زوجته عدد من الاتصالات من صديقاتها ممن كن يرتدن حفلاتها باستمرار..

لتتنوع العروض أمامه..

سهرة خاصة، رحلة بحرية بيخت مخصوص، اجازة خاطفة بالساحل الشمالي..

وكلها من سيدات كان يظن أنهن صديقات لزوجته..

حاول التملص من تلك الدعوات .. توقف عن الاجابة عن الهاتف..

ابتعد عن الجميع.. حتى أقاربه.. لم يعد يتحمل نظراتهم أليه ما بين شفقة وخوف وتربص..

وأخيراً تكررت الجلسة بينه وبين والده..

يبشره بعروس جديدة.. وإن كانت أكبر منه سناً فلا يهم.. وإن كانت شحيحة الجمال فلا مشكلة فهي وافقت به رغم ما يتناقله الجميع حول سمعته كونه بالبداية "وجه النحس" وفي النهاية "مخلوع"..

واحتد النقاش بينهما ليهتف به أبيه بلوم..

"كتر خير الدنيا اني لقيت واحدة ترضى بواحد مخلوع زيك...

وهنا لم تتحمل "حواء" المطلقة صاحبة القصة الأساسية أكثر

خرجت من النفق السري وهي تهتف بـ "لمسة أنوثة"..

"من فضلك اوقفي المهزلة دي"..

سألتها "لمسة أنوثة" بتعجب..

"المهزلة دي أنتِ عشتيها ولسه بتعشيها"..

اجابتها حواء بحسم..

"والحل مش إن آدم يعشها.. المجتمع ككل محتاج تغيير مفاهيم.. وزي ما قلتِ في البداية.. زي ما ظلمني "آدم" في بنات "حواء" كتير زودوا الظلم ده.. مش من العدل أني أعاقب شخص واحد على جرايم مجتمع كامل"..

***

زفرت "لمسة أنوثة" بغضب ما بال هؤلاء النسوة يمتنعن عن نيل حقهن ومعاقبة معذبهن، مهما زللت لهن العقبات

ويسرت لهن الظروف لينلن بعضاً من حقوقهن يرفضن ويتراجعن وتتغلب عليهن الرحمة والشفقة بجنس "آدم"..

التفت لـ"حواء" أم البنات التي وقفت بانتظار دورها..

وأشارت لها برتابة لتمر بالنفق..

وهي تغمغم..

"يا ريت ما يصعبش عليكِ "آدم" بتاعك"..

هزت "حواء" أم البنات رأسها بعزم..

وقفزت بداخل النفق..

مشهد (١٣)

"حواء أم البنات معكوس"..

دلفت "حواء" إلى ردهة منزلها تسبقها عواصفها الغاضبة وتهتف بـ"آدم" غاضبة..

"أختي طلعت حامل في بنت.. لتالت مرة بنت.. شوفت الحظوظ"..

أجابها بترجي..

"معلش يا حبيبتي.. إن شاء الله المرة الجاية ربنا هيكرمنا بالبنت"..

رمقته باستخفاف..

"أنت هتضحك عليا ولا على روحك.. أنتوا أساسًا عيلة كل خلفتها أولاد.. حاجة تقرف"..

عاد يستعطفها مرة أخرى..

"وماله يا حبيبتي.. اهوه حتى بيساعدوا في شغل البيت"..

صاحت به بضيق..

"ولادك دول هيروحوا يساعدوا في بيوت زوجاتهم.. أنا بقى عايزة بنت تسندني وتكون جنبي.. أرفع راسي وافتخر بيها"..

أجابها باستسلام..

"وأنا زيك يا حبيبتي عايز بنت تشيل اسمي.. تكون دكتورة ولا محامية ولا مهندسة.. ولا أستاذة جامعة ويقولولي يا أبو الأستاذة"..

وتحسر بخفوت..

"ما أنا عارف أن الولاد كلهم هيقعدوا في بيوت زوجاتهم لا شغل ولا منفعة.. أنا عارف احنا بقينا فين ولا ازاي!.. الست بتصرف وتتحكم وتسيطر.. والراجل بيتحرك بإشارة منها"..

اقتربت منه تسأله بغيظ..

"قلت حاجة؟"..

هز رأسه بهلع..

"لا أبداً يا حبيبتي كنت بقول أعملك شاي"

واجهته ويديها بخصرها..

"ده وقت شاي.. بقولك عايزة اخلف بنت"..

تلجلج بالكلام..

"طيب يا حبيبتي وأنا اعمل ايه.. دي حاجة بأمر الله وأنا..

قاطعته بعنف..

"بطل بقى.. حبيبتي.. حبيبتي.. خنقتني يا أخي"..

ثم تنهدت بقوة وهي تشير له بسبابتها مهددة..

"قدامك فرصة واحدة.. أننا نخلف بنت وإلا هبعتك عند أبوك.. وشوف مين هيصرف على ولادك"..

مرت أشهر..

وقفت "حواء" بباب المنزل تلمح "آدم" وقد حمل حقيبته ويستعد للرحيل..

"أنا خلعتك خلاص.. وولادي هيفضلوا معايا.. حتى ابني اللي لسه ما اتولدش.. أنت فاهم إني زيك ممكن أفرط في حتة مني.. أنت بقى ربنا يسهلك مع أي حواء تانية.. مع أن السمعة اللي طلعت عليك أن خلفتك كلها ولاد"..

رحا "آدم" منكساً رأسه بعدما فشل بمنحها الطفلة التي ترغبها..

أغلقت الباب خلفه بعنف..

"السكة اللي تودي"..

***

صفقت "لمسة أنوثة" بكفيها بجذل..

"حواء.. أنتِ رائعة.. أنتِ الوحيدة اللي أخدتِ حقك منه وما صعبش عليكِ"

ابتسمت "حواء" بألم..

"ده كان عايزني أقتل بنتي.. وفي حسابات الأمومة، الضنا يكسب"

***

أشارت "لمسة أنوثة" إلى حواء الأنيقة لتتحرك نحو النفق السري

هامسة..

"اخلعي الكعب العالي"..

فعلت كما أمرتها وقفزت للنفق ونظرة اليأس ما زالت بعينيها..

راقبتها "لمسة أنوثة" تختفي بداخل النفق وبداخلها يقين أن "حواء" الأنيقة أقوى مما تبدو

مشهد (١٤)

"حواء الأنيقة معكوس"

"أستاذ "آدم".. مدام "حواء" هتقابلك.. من فضلك مدة المقابلة عشر دقايق بس.. زي ما أنت شايف.. عدد المتقدمين كبير"..

كان تلك كلمات مدير مكتب السيدة "حواء" رئيسة مجلس إدارة إحدى الشركات الكبرى والتي أعلنت عن حاجاتها عن عدة وظائف.. منها وظيفة "باحث قانوني".. تلك الوظيفة التي قرر التقدم لها وها هو يتعرض لتقييم شامل من رئيسة مجلس الإدارة التي تسأله أسئلة بعيدة جدًا عن متطلبات الوظيفة

وتطلب رقم الهاتف الخاص به..

ودعته مع وعد للاتصال به بشأن الوظيفة..

ولكن المكالمة التي تلقاها منها كانت بشأن زواجه منها..

وبالفعل لم يمر الشهر إلا وكانا زوجين..

عاشا أياماً رائعة ببداية الزواج..

فكانت "حواء" لا تؤخر له طلباً.. تدلله بكل طاقتها..

أحلامه مجابة وليست طلباته فقط..

ولكن ظل هناك حلم وحيد رفضت "حواء" بشدة تنفيذه له؛

أن تسمح له بالعمل..

فبعد مرور عدة أشهر بدأ يشعر بالملل من مجرد جلوسه بالمنزل في انتظار عودتها من عملها.. ليبدأ عمله هو بإسعادها كزوج..

وما أن تنتهي منه حتى تعود ثانية للإنهماك بعملها مغلقة كل أبواب النقاش

حول عمله وموضحة اتفاقهما الرئيسي..

"احنا اتفقنا مش هأخر عنك حاجة.. وأنت تتفرغ لي"..

كان ذلك اتفاقهما بالفعل وهو وافق عليه لشدة حبه لها.. ولكن هو يشعر بكيانه يختفي تدريجياً.. شخصيته تمحي ليتحول لمسخ تابع لها..

يريد تحقيق ذاته ككثير من الأزواج..

حاول إقناعها بتركه يعمل ولو بوظيفة بسيطة..

ولكن كان رفضها قاطعاً فهي غير مستعدة لسماع شكاويه حول متطلبات العمل أو الأدهى أن تطلبه بيوم فيعتذر بحجة إرهاق العمل..

كان حزنه يومها هائلاً وطلب من والدته التوسط له عندها لتوافق على الأقل على استكمال دراسته العليا..

فوافقت على مضض.. شرط أن لا تؤثر دراسته على اهتمامه بها..

وأصرت أن تختفي أوراق دراسته لحظة أن تطأ قدمها المنزل فلا ينشغل إلا بها.. حتى لو كانت هي منهمكة بأعمالها..

واليوم هو في أقصى حالات سعادته..

اليوم هو مناقشة رسالة الماجستير الخاص به..

وما يثير الهلع بنفسه هي تلك الهمسات التي وصلت له..

أن زوجته تدخلت مع لجنة الإشراف حتى يتم رفض الرسالة وإنهاء عمل شهور من البحث والمذاكرة..

نظر بساعته.. هي لم تأتِ بعد..

إذاً ما سمعه صحيحاً بالفعل!..

وبغرفة مكتبها حول لها مساعدها مكالمة هاتفية..

"الدكتورة المشرفة على رسالة السيد "آدم" على الهاتف"..

وعبر الهاتف سألتها السيدة سؤال مباشر

"أنا داخلة قاعة المناقشة دلوقتِ.. زي ما اتفقنا هرفض الرسالة و..

لترتسم ابتسامة غريبة على وجه "حواء" وهي تتذكر كل خيبة أمل طالتها على يديه بحياة أخرى..

وتقاطع كلمات السيدة..

"الرسالة بتاعته كويسة؟"

اجابتها السيدة..

"جداً"..

هزت رأسها بحسم..

"يبقى يستحق النجاح"..

أغلقت الهاتف وهي تلمح "لمسة أنوثة" بركن الغرفة تناظرها بسخط

فهزت كتفيها هامسة..

"خيبة الأمل شعور قاسي.. لو جربتيه مرة هتعرفي قد ايه هو مؤلم.. ازاي بقى عايزاني أكون سبب في خيبة أمل اي حد حتى لو كان.. آدم"..

**

تكاد تفقد عقلها حنقاً على تلك النسوة أشارت "لمسة أنوثة" إلى..

تلك الباكية التي يرتج جسدها بفعل شهقاتها العنيفة..
لتصيح بها..

"دي فرصتك أنك تاخدي حقك.. وحق كل مغفلة
صدقت وعد باسم الحب"..

هتفت "حواء" بصوت مختنق..

"بس احنا كنا كاتبين الكتاب.. كنت مراته"..

رمقتها "لمسة أنوثة" بغيظ..

"ده أدعى انك تسترجعي حقك.. ونصيحة مني.. مراته
أما تبقي في بيته.. لأمانك أنتِ"..

مسحت "حواء" دموعها وقفزت للنفق السري..

مشهد (١٥)

"حواء الباكية معكوس"..

انطلقت "حواء" بسيارتها بسرعة بينما جلس "آدم" جوارها متسائلاً..

"هنروح فين؟. ده مش طريق بتاع الستاير"..

هزت حواء كتفها وهي تعدل من نظارتها الشمسية باهظة الثمن..

"هنعدي على الشقة الأول.. أنا نسيت ورقة المقاسات في مكتبي"..

هز "آدم" رأسه برفض..

"لا.. أنا مش هطلع الشقة.. أنتِ عارفة كل مرة بنروح لوحدنا ايه اللي بيحصل"..

ربتت على يده بمودة..

"حبيبي.. أنت قلقان ليه.. أنا مراتك.. ايه اللي مخوفك؟"..

همس بخفوت..

"بخاف من ضعفي قدامك.. أرجوكِ.. مش لازم نروح الشقة"..

ربتت على وجنته باطمئنان..

"حبيبي أنت جوزي لآخر العمر.. معقولة اتخلى عنك بعد اللي حصل بينا؟!"..

وبالطبع كانت مجرد كلمات فها هي تتصل بوالدته مخبرة اياها أن النصيب لم يكتمل وأنها ستخلعه لأنها لا تستطيع تصوره كزوج لها..

وذهب لها بمحل عملها.. فرفضت مقابلته آمرة مساعدتها أن تخبره أن الأمر سينتهي بين المحامين..

وذهب لمنزلها فتهربت منه..

ولم تعد تستقبل مكالماته..

وأخيراً لم يجد بداً من ملاحقتها حتى استطاع مقابلتها وهي متوجهة لعملها بأحد الأيام معترضاً طريقها..

"ازاي عايزة تتخلي عني بعد ما اديتك كل حاجة"..

ربتت على وجنته كما اعتادت..

"حبيبي.. معلش مش فاضية.. وبعدين حصل خير.. أنت مش أول واحد ولا آخر واحد يتخلع قبل فرحه بكام يوم.. بس اعذرني ما عنديش ثقة إني آمنك على بيتي"..

صرخ بها..

"بس أنتِ كنتِ مراتي ووعدتني ما تتخليش عني"..

رفعت ذقنها..

"مرة سمعت أن الراجل بيدور على أم لولاده وعاء طاهر يآمن عليهم فيه.. طيب وصاحبة الوعاء دي مش من حقها تتأكد أنه اللي هيملاه يكون هو كمان شريف"..

كاد أن يبكي ولكنه همست له..

"ما فيش حاجة من اللي بتتخيلها حصلت.. أنا كنت بعيشك جوه وهم مش أكتر.. حلم أو كابوس.. هتصحى منه دلوقت"..

وبالفعل استيقظ "آدم" من نومه مفزوعاً.. ليرى هاتفه يضيء باسم "حواء"..

تسأله لم تأخر عليها فموعدهما مع صانع الستائر بعد ربع ساعة..

***

كادت "لمسة أنوثة" أن تقتلع خصلات شعرها..

وهي تصرخ بـ"حواء" الباكية..

"حلم.. استغليتِ التعويذة وعيشتيه حلم!.. فين حقك هتاخديه ازاي"..

همست "حواء"..

"سلب شرف انسان شيء بشع.. خلف الوعد.. كسر انسان.. ده مش تحصيل حق.. ده دناءة وحقارة.. حواء ما عرفتش تعيش فيها مجرد لحظات خيالية.. ازاي استمر معاها باقي عمري"..

***

تأبطت "لمسة أنوثة" ذراع "حواء" منتصف العمر بمودة وهي تحثها بل تكاد تحرضها..

"أرجوكِ.. بلاش يصعب عليكِ.. النوعية دي لازم ابادتها"..

ربتت السيدة على كفها بحنان..

"هشوف اقدر اعمل ايه"..

وقفزت برشاقة تحسد عليها داخل النفق السري..

مشهد (١٦)

"حواء منتصف العمر"..

تفنن "آدم" باعداد ما تحبه حواء من أصناف طعام..
ووزعها بطريقة فنية على المائدة المزينة بالشموع العطرة وأوراق الزهر..

انهى استعدادته للعشاء وتوجه لغرفته حتى يبدل ملابسه ببذلته الرمادية التي تعشق رؤيتها عليه..

اليوم احتفالهما متعدد الجوانب..

ليس مجرد احتفال بعيد زواجهما أو عيد مولدها الذي يصادف نفس اليوم ولكنه احتفال بوصولها لعمادة كلية الآداب..

كما تمنت مرة في بداية زواجهما وكانت وقتها طالبة صغيرة بالعام الثاني من دراستها الجامعية..

وقرر هو أن يكون حلمهما واحد.. فكان يساعدها بكل ما أوتي من قوة..

أبحاث، دراسات، بحث عن كتب نادرة تحتاجها بدراستها..

هيأ لها بالمنزل جواً هادئاً ساعدها على تحقيق ما تريد..

وعندما جاءته باكية.. تخبره أنها حامل..

ولكنها لا تريد الطفل.. سيعيق مخططاتها..

لم يعرف ماذا يفعل ليحل لها المشكلة!

لو أمكنه أن يحمل الطفل عنها لفعل..

وعدها أن يتولى أمر الطفل بعد الولادة ولن تشعر حتى بوجوده..

هدأت نفسها وارتاحت لذلك الحل..

ولكن لظروف قدرها الله لم يكتمل الحمل..

وبعدها أصرت بهيسترية أن تمنع أي فرصة لوجود حمل آخر..

تناولت أدوية منع الحمل فسببت لها مضاعفات مؤلمة..

بدلت وغيرت بين وسائل المنع المختلفة..

ولم ترتح لأي منهم..

وازدادت المضاعفات حتى كادت أن تفقد حياتها مرة عندما عانت من نزيف شديد..

ولم يكن هناك بديل.. عرض هو الحل.. وقام بعملية قطع لقنواته الناقلة منهياً فرصته بالانجاب للابد..

وكله فداء نظرة حب منها..

فهي حبه الأول.. وطفلته المدللة..

وقرر الاكتفاء بحبها عن كل شيء..

دراسته، عمله،حتى أهله.. منعته عنهم فهم يقلبون أفكاره عليها كما زعمت..

دلفت حواء بثقة تتأمل الجو الرومانسي الذي أعده "آدم" لاحتفالهما..

وقبل أن يتقدم نحوها مهنئاً بادرته بسرعة..

"حبيبي.. أنا رفعت قضية خلع.. بص من الآخر كده.. الحياة الهادية اللي عايشنها دي بقيت مملة قوي.. أنا محتاجة شوية إثارة وأكشن في حياتي"..

هتف بها..

"وحبنا.. و..

أشاحت بيدها..

"حب بس ايه.. أنا قفلت على نفسي كتير وحرمت نفسي من حاجات كتير عشان أحقق أحلامي.. وخلاص حققتها.. أعيش شوية بقى.."

أشار لنفسه بألم..

"وأنا ؟"..

هزت كتفيها بلامبالاة..

"أنت ايه!.. أنت عبأ عليا.. حمل على صدري عايزة أخلص منه.. أنت..

لم تكمل كلماتها فقد سقط "آدم".. أمام عينيها المذهولة..

وقد لفظ أنفاسه الأخيرة..

تملصت "حواء" منتصف العمر بقوة لتهرب من قيود وهمية تقيدها لتصرخ ب"لمسة أنوثة" غاضبة..

"ايه اللي أنتِ عملتيه ده.. كل اللي حصل ده مش أنا.. ازاي تنتحلي شخصيتي"..

هزت "لمسة أنوثة" كتفيها بلامبالاة

"أنا عملت كده عشان مصلحتك.. أنتِ كنتِ هتسامحيه بعد أول دمعتين"..

صرخت "حواء"

"بس أنتِ قتلتيه"..

هتفت بها "لمسة انوثة" بغضب

"وهو ما قتلش أنوثتك وحياتك وحبك.. وولادك قبل حتى ما يتكونوا"..

هزت "حواء" رأسها..

"بس أنا مش عايزاه يموت.. دي مش حكايتي.. مش تعويذتي"..

أشارت "لمسة انوثة" لتفتح النفق السري مرة أخرى

هاتفة بغيظ

"اتفضلي وريني.. اعتبري اللي فات اتمسح.. ابدئي حكايتك"..

مسحت "حواء" دموعها هامسة

"لا.. خلاص.. أنا سامحته.. وحسابه عند ربه"..

****

لم تعلق "لمسة أنوثة" فهي اعتاد جنونهن..

وأشارت بصمت الى "حواء" المعذبة

لتقفز بالنفق السري..

مشهد (١٧)

"حواء المعذبة معكوس"..

تحرك آدم بخفة وهو يحمل صينية الإفطار لعروسه الفاتنة..

اليوم هو الصباح التالي لزفافهما..

لا يصدق أنه أصبح بمنزلها أخيراً

"حواؤه" العنيدة التي أصرت على الزواج منه رغم رفض والدته لها عدة مرات

ولكن الرائعة الحبيبة نجحت في النهاية بإقناعها والفوز به كزوج لها..

عاش معها أروع فترة خطبة بين حبيبن..

كلماتها الرقيقة ومغازلتها دغدغت رجولته وأشعرته أنها رجلها الوحيد..

وأخيراً تحقق الحلم الليلة الماضية وأصبح لها أخيراً

وعلم كيف يكون شعور الرجل وهو ينتمي لحبيبته الوحيدة

اقترب من الفراش ببطء ووضع صينية الافطار على مائدة جانبية

والتفت ليوقظها برقة..

"حواء.. حبيبتي الفطار"..

فتحت عينيها قليلاً وصاحت بخشونة..

"غور من وشي دلوقت أنا عايزة انام".

برقت عيناه دهشة لما يسمع..

أين حواؤه الرقية المهذبة!..

خاطبها هامساً..

"حواء"..

نهضت بعنف من الفراش وهي تمسكه من مقدمة قميصه بيد والأخرى رفعتها بالهواء تمهيداً لصفعه..

ولكن يدها ظلت بالهواء..

والتفتت لـ "لمسة أنوثة"..

"انهي المشهد.. أنا مش هضربه"..

طاوعتها "لمسة أنوثة" وجمدت المشهد متسائلة..

"حصل ايه مش ده اللي كسر دراعك.. ده اللي بيصبحك بعلقة ويمسيك بعلقة.. مش الحيوان ده..

أوقفتها حواء..

"أنتِ قلتيها.. حيوان.. هو قدر يتعايش مع حيوانيته ودونيته.. أنا ما اقدرش"..

****

مشهد النهاية..

تحلقت النسوة حول "لمسة أنوثة" التي أخبرتهن أن وقتها على الأرض شارف على نهايته..

هي تشعر بالأسى لأنها لم تتمكن من مساعدتهن كما يجب ولكنها قدمت كل ما استطاعته..

وإن أردن تغيير واقعهن فعلياً فليفعلن ذلك بأيديهن..

فالسحر لم يكن أبداً هو الحل..

عندما يمكن للانسان أن يغير واقعه بيده

***

توقف المترو بمحطته الأخيرة

ومعه خرجت مجموعة النسوة من غفوة عجيبة.. أو ربما هو حلم يقظة تشاركن به جميعًا..

فقط جملة ظلت تتردد بعقولهن

" فالسحر لم يكن أبداً هو الحل..

عندما يمكن للانسان أن يغير واقعه بيده"

ترددت بعقل "حواء" ضحية التحرش وهي تخضع للمسات رئيسها المقززة

ولكنها لا تملك تغيير واقعها.. هي أضعف من ذلك..

**

وترددت بعقل "حواء" ربة المنزل وهي تنهي أعمالها المنزلية.. وترمق زوجها الذي يتابع إحدى المباريات مطالباً بقدح من الشاي سارعت بإعداده له

**

وترددت بعقل "حواء" الأرملة/ مطلقة وهي ترفض العريس المسن وتصر على رفضها..

**

وبعقل "حواء" أم البنات وهي تقرر الانفصال عن زوجها وترفع قضية خلع متنازلة له عن كل شيء.. فمثله لا يؤتمن..

**

وتردد بعقل "حواء" الأنيقة وهي تستعد لاستقبال زوجها برداء الخادمة كما أراد، فهو قتل بداخلها كل معاني الحياة..

**

وبعقل "حواء" الباكية.. وهي تمتثل لأوامر والديها وتوافق على العريس الجديد بعدما خضعت لعملية جراحية لإصلاح ما دمرته بثقتها بوعد الحب

**

وتردد بعقل "حواء" منتصف العمر وهي تدثر صغيرها بفراشه..

وتطمئن على باقي أطفالها..

نعم لقد وجدت لنفسها كيان كأم بديلة لأطفال حرموا من أمهاتهم

هل يجب نذكر أنها خلعت آدم!..

**

وترددت الجملة بعقل "حواء" المعذبة وهي تمنع كف "آدم" من الوصول لوجنتها

هاتفة بغضب..

"كفى"

***

قفزت "لمسة أنوثة" فرحاً..

لقد أحرزت هدفاً..

نجاح بنسبة خمسون بالمائة..

ولكنها تشعر أنه مبهر وخارق..

لقد تركت أثراً وهذا يكفي..

سيظل أثرها بعقول الخاضعات حتى يجدن شجاعتهن بأحد الأيام فيغيرن واقعهن..

كم ترغب بالدخول لعقل "آدم"..

تصرخ به..

أين مروؤتك؟..

أين الرحمة بقبلك؟..

أين انسانيتك؟..

أين أنت من تعاليم دينك؟..

ألا تعرف الآية الكريمة

"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"

أين أنت من المودة والرحمة؟..

لِمَ لم تكن سكناً كما أُمرت!..

ألم يصلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم

"رفقاً بالقوارير"

نعم يا آدم فالأنثى برقة الزجاج الشفاف..

اعتنِ بها وراعها..

اتقِ الله فيها تمنحك رؤية صافية للحب والسكينة..

لكن بقسوتك واهمالك لها.. بتعنتك وتنمرك..

تكسرها.. تحطمها..

والزجاج إذا كسر لا يجبر

وعند محاولتك لجمع أشلائه

يجرحك، يؤلمك.. وقد يسيل دمك..

"خلقت المرأة من ضلعٍ أعوج"

وتلك حقيقة

ولكنها خلقة تامة كاملة ومثالية

فلم تحاول تعديلها؛ الضغط عليها فيزداد الاعوجاج

أو تقويمها فتكسرها؟!..

تمت بحمد الله